الفصل الأول
مدخل الدراسة

obeikandl.com

obeikandl.com

القدس
مدينة الحرب والسلام

مدخل تاريخي:

من المعروف أن المدن ذات الأهمية الدينية قد اتصفت فى بدايتها بالفقر، وعدم وجود موارد طبيعية كبيرة فيها، وموقعها فى وديان غير ذات زرع لتظل بمنجاة عن الترف الذى هو سبب هلاك القرى والمدن، ولذا فإن الغالب على هذه المدن أن تكون غير مرغوبة السكن من أصحاب السطوة والمترفين. ولم تشذ بيت المقدس عن هذه القاعدة طوال عصورها التاريخية، حيث تحكمت عوامل الطبيعة فى مجريات أمورها الاقتصادية.

والقدس مدينة الإسلام والسلام ومركز الإشعاع الروحى للديانات السماوية الثلاث، مدينة تضرب فى أعماق التاريخ، بناها العرب اليبوسيون، وتعرضت عبر مسيرة التاريخ لكثير من الحروب والغزوات. لقد اتجهت إليها أنظار بنى البشر عبر آلاف السنين، وخفقت قلوبهم بحبها، وتعلقت أفئدتهم بها.

القدس صورة لمعركة أزلية قديمة قدم الإنسان، عنيفة عنف الطبيعة إذا فارت وثارت، عميقة عمق الإيمان إذا استقر فى أفئدة الناس.

ومنذ أن خلق الله - عز وجل - آدم على الدنيا لم يبعث نبيًا إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس، وجاء الإسلام، ورغم أنه لم يظهر فى فلسطين، ولم يولد رسوله أو يعيش فى القدس إلا أن الله شاء أن يكون لهذه المدينة - القدس - أهميتها، وصلى إليها نبينا ﷺ لذا فهى مهوى أفئدة المسلمين وقرة أعينهم. فقد شدهم إليه نفس الوشائج التى شدتهم إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وتذكر الروايات التاريخية المعتمدة على النصوص التوراتية أن داود[1] - عليه السلام - نُصب ملكًا على العبرانيين فى عـام ١٠٠٤ق.م بعد أن كان محاربًا بين جند الملك شاؤول، وكـان يقيم فى مدينة حـبرون (الخليل)، ولما استـقر له الحكم أراد أن يتخذ لنفسه موقعًا أكثر تحصينًا، فوجد مطلبه هذا فى مدينة "يبوس"، فهىَ وعرة المسالك للقادم من الأردن أو من البحـر أو من الجنوب على حد سواء، كما أنها مسورة غيـر مكشوفة للغزاة، وتتوسط مواقع القبـائل اليهودية، وبذلك يتمكن من السيطرة عليها جميعًا. وعندما استولى على مدينة يبوس اتخذها عاصمة ملكه وأسماها مدينة داود[2].

وقد اعتـبر داود المؤسس الأول للملكة العبرية، حـيث جعل هناك نوعًا من الاتحاد بين القـبائل اليهودية فى مـملكة واحدة، وتابعة لحكم مركـزى واحد. ومن الجدير بالذكر أنه عندما احتل داود مدينة يبوس ظل السكان المحليون فى مدينتهم، واعترفت التوراة بهذا البقاء: "٥فَسَـكَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِى وَسَطِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ"[3].

ويرجح علمـاء الآثار أن داود لم يشيـد أسـواراً للقدس، وإنما قـام بترمـيم حصون اليبوسيين القديمة، وكان السور القديم مزوداً بستين برجًا يشرف منها الجند على حماية المدينة.

وبعـد موت الملك داود - عليـه السلام - عـام ٩٦٣ ق.م تولى الحكم من بعـده ابنه سليمـان - عليـه السلام - ومن بـعده انقسمت المـملكة اليهـودية إلى قسمـين: مملكة إسرائيل وعاصمـتها السامـرة (نابلس)، ومملكة يهوذا وعاصمـتها

---

(١) داوُد أو داود أو داؤود: معـناه "محـبوب"، هو ثانى ملك على مملكة إسـرائيل المتـحدة وأحد أنبياء بنى إسرائيل. ويُعتبر أحق وأنزه ملك من بين ملوك إسرائيل التاريخيين، وهو صاحب مزامير داود الشهيرة.

(٢) فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج١، ص ٢٠٥ .

(٣) سفر القضاة ٣: ٥ .

أورشليم (القدس). ونتيجة لانقسام المملكة اليهودية ضعفت شوكة اليهود وتعرضت القدس إلى غزوات متلاحقة وغدت البلاد نهبًا مقسمًا بن الغزاة والمهاجمين من المصريين والسوريين والآشوريين[1].

وقد نشأت العلاقة بين القدس والإسلام منذ أُسرى برسول الله محمد ﷺ من مكة إليها ومنها عرج إلى السموات العلى، وأصبح الإيمان بهذا الإسراء جزءا من العقيدة الإسلامية، وأصبحت القدس قبلة المسلمين.

يقول تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[2].

ويقول الرسول ﷺ: "لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى"[3]. ويقول أيضًا: "فضلت الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفى مسجدى بألف صلاة، وفى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة"[4]. ويقول أبو أمامة الباهلى: إن رسول الله ﷺ قال: "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: "ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"[5].

وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - توجه أبو عبيدة بن الجراح[6] بعد الانتصار على الروم فى معركة اليرموك وبناء على توجيهات الخليفة

---

(١) عبلة المهتدى، القدس تاريخ وحضارة، ص ٣٩ .

(٢) سورة الإسراء: ١ .

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الإمام أحمد.

(٥) رواه الإمام أحمد فى المسند.

(٦) أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما، أحد العشرة المبشرين بالجنة، لقبه رسول الله ﷺ بأمين الأمة، قاد غزوة الخبط، وعندما=

(عمر) إلى "إيليا"، واحتلها بعد حصار دام أربعة أشهر. وفى سنة ٦٣٨م فتحها المسلمون، واشترط الرؤساء المسيحيون على جيش المسلمين أن لا تفتح أبواب سورها وتسلم إلا للخليفة العادل عمر بن الخطاب، وتسلم الخليفة عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - مدينة بيت المقدس، وكتب وثيقة الأمان التى عرفت فيما بعد بالعهدة العمرية، وفى العهد شرط خاص بمنع إقامة اليهود فى القدس، ولاشك بأن هذا الشرط كان بناء على طلب البطريرك بعد الذى لاقاه أتباعه أثناء الغزو الفارسى من شر اليهود(١)، (٢).

لقد كان الرسول ﷺ الفاتح لبيت المقدس الذى بدأ باجتماعه بالملائكة ليلة أسرى به، ثم فتحها المسلمون سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م، وبقيت فى رعاية الإسلام

=نفذ الزاد راحوا يتصيدون الخبط أى ورق الشجر فيسحقونه ويسفونه ويشربون عليه الماء، لهذا سميت بغزوة الخبط. أمَّرهُ عمر بن الخطاب فى معركة اليرموك بدلاً من خالد بن الوليد، ولكنه أخفى أمر الإمارة عن خالد إلى أن انتهت المعركة، فسأله خالد: يرحمك الله أبا عبيدة، ما منعك أن تخبرنى حين جاءك الكتاب؟ فأجاب أبو عبيدة: إنى كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، كلنا فى الله أخوة. مات بطاعون عمواس (وباء وقع فى بلاد الشام سنة ١٨ هـ، سمى بذلك نسبة إلى بلدة صغيرة فى فلسطين؛ لأن الطاعون ظهر بها أولاً ثم انتشر فى بلاد الشام) ودفن فى قرية صغيرة حملت اسمه بالغور فى الأردن وكان عمره ٥٨ سنة. (أنظر سير أعلام النبلاء للذهبى)

(١) عبد اللطيف الطيباوى (١٩٨١) . القدس الشريف فى تاريخ العرب والإسلام. عمان: وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية. ص١٠

(٢) قارن ذلك بما قاله "راندولف تشرشل" المتيم فى حب المسلمين عند سقوط القدس: "لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود. إن القدس قد خرجت من أيدى المسلمين، وقد أصدرت الكنيسة اليهودية ثلاث قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين فى أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود" (أنظر: راندولف تشرشل. ب.ت حرب الأيام الستة، ص ١٢٩).

وحمايته إلى أن تعرضت لغزو صليبى زاد عن ثمانى حملات، وحشد من أجله ما يزيد عن مليونى جندى من أوروبا، ودام الاحتلال الصليبى ما يقرب من المائة عام حتى حررها صلاح الدين الأيوبى.

ولهذه القداسة نظر المسلمون إلى بيت المقدس على أنه مزار شريف، ومنزل مبارك، وموضع مقدس كريم، فشدوا إليه الرحال، وأحرموا منه للحج والعمرة، وزاروه لذاته بغية الصلاة فيه وأحاطوه بالرعاية. وقد أحرم الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - للحج والعمرة من المسجد الأقصى، كما أحرم منه سعيد بن العاص - أحد المبشرين بالجنة - وقدم سعد بن أبى وقاص - قائد جيش القادسية - إلى المسجد الأقصى فأحرم منه بعمرة، وكذلك فعل الصحابة: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، ومحمود بن الربيع الأنصارى الخزرجى[1].

والمسلمون ينظرون إلى بيت المقدس نظرة تقديس على أنه مركز لتراث دينى كبير تجب حمايته، ويربطون ربطًا كاملاً وثيقًا بين المسجد الحرام فى مكة والمسجد الأقصى فى القدس، وينظرون إلى القدس نظرة تقترب من نظرتهم إلى مكة. فإذا كان أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - قد وضع قواعد الكعبة فى مكة، فإن جسده الشريف يرقد على مقربة من القدس فى الخليل، وإذا كان المسلمون فى كل بقاع الأرض يتجهون فى صلاتهم إلى المسجد الحرام فإنهم لا ينسون أن نبيهم محمدًا ﷺ وأسلافهم الصالحين قد اتجهوا - قبل نزول آيات تحديد القبلة إلى الكعبة - إلى المسجد الأقصى أولى القبلتين.

وإذا ذكر المسلم بحسه الدينى الممتد ووعيه التاريخى الإسلامى "بيت المقدس" فإنه يذكر أنه المكان الذى كلم الله فيه موسى - عليه السلام - وتاب على داود وسليمان، وبشر زكريا بيحيى، وسخر لداود الجبال والطير، وأوصى

---

(١) عبد الحليم عويس (١٩٩٩). مكانة بيت المقدس فى الإسلام وعند المسلمين. مجلة القدس، عدد٥، مايو ١٩٩٩، ص ص ٢١ - ٢٥

إبراهيم وإسحق أن يدفنا فيه، وفيه ولد عيسى - عليه السلام - وتكلم فى المهد، وأنزلت عليه المائدة، ورفع إلى السماء. إن هذا هو موقف المسلم من بيت المقدس، وهو موقف يقوم على التقدير والتقديس والشعور بالمسئولية الدينية والتاريخية.

والواقع أن الطابع العربى الإسلامى قد أثر تأثيراً واضحًا على المدينة وتاريخها، فإلى جانب بروز مقدسات إسلامية لها أهميتها، حكم المسلمون مجتمعًا له مقدساته الأخرى: اليهودية والنصرانية، هذا الحكم تميز بإجماع المؤرخين بالتسامح والسماح بممارسة شعائر كافة الأديان فى المدينة، وقد ظهر هذا التسامح والاحترام لمشاعر وعقائد وشعائر الآخرين منذ دخول الخليفة العادل عمر - رضى الله عنه - إلى المدينة، وعلى مدار الحكم الإسلامى على اختلاف القائمين عليه وحتى سقوط المدينة بيد الاستعمار البريطانى عام ١٩١٧م.

عروبة القدس من أسمائها:

القدس روح فلسطين وقلبها، قلادة عُلقت على صدر فلسطين. ومن الأدلة على عروبة القدس أن كل الأسماء التى سميت بها المدينة عبر تاريخها القديم أسماء عربية خالصة. إن أول اسم عرفت به القدس هو الاسم الذى سماها به سكانها الأصليون "الكنعانيون" وهو "يرو - شالم" أو "يرو - شلم"، وشالم وشلم اسم لإله كنعانى معناه السلام.

وربما ورد أول ذكر لمدينة القدس كتابة فى الوثائق التى عثر عليها فى "عبلا" - تل مرديخ - فى شمال سوريا، وهى وثائق مكتوبة على ألواح من الآجر بالخط المسمارى، وبلغة سامية، وترجع إلى أواسط الألف الثالث (ق.م)، وترد فى الوثائق أسماء عدة مدن منها - سالم - التى يرجع البعض أنها تشير إلى القدس. لكن أول اسم ثابت لمدينة القدس وهو "أوروسالم" أو "أوروشالم" إنما ورد فيما يسمى بنصوص اللعنة، وهى تتضمن أسماء البلدان والمدن والحكام الذين كانوا فيما

زُعم من أعداء مصر، وكانت العادة هى كتابة أسماء الأعداء على الأوانى الفخارية ثم تحطيمها فى أحد طقوس السحر التأثيرى، أى الذى يرمى إلى التسبب فى سقوط الأتباع العصاة، وقد ثبت أن تاريخ تلك الأوانى يرجع إلى فترة حكم الفرعون "سيزوستريس" الثالث (١٨٧٨ - ١٨٤٢ ق.م) وكانت كلها أسماء تسع عشرة مدينة كنعانية من بينها مدينة أوروسالم.

وهناك من يذهب فى أصل "أوروسالم" أو "أوروشالم" إلى أن الاسم مكون من مقطعين: "سالم أو شالم" وهو اسم إله، و"أورو" وهى كلمة تعنى أسس أو أنشأ، فيكون معنى الاسم: أسسها سالم، ويعتبر الاسم اسمًا عموريًا، بدليل أن أول اسمين لأميرين تاريخيين من القدس هما: "ياقرعمو" و"سزعمو" وهما اسمان عموريان، والعموريون هم سكان كنعان الأصليون، ولغتهم تدعى الكنعانية.

ويتضح مما سبق أن التسمية "أورشليم" التى يحاول اليهود عدها من الأسماء العبرية هى فى الحقيقة كلمة كنعانية عربية. وكيف تكون كلمة أورشليم عبرية واللغة العبرية لغة حديثة ولدت فى القرن الرابع قبل الميلاد وتبلورت فى القرن الخامس الميلادى.

ويعود أقدم ذكر لأورشليم فى التوراة (العهد القديم) إلى عهد إبراهيم - عليه السلام - فى بداية الألف الثانى قبل الميلاد، حيث ذكر النص التوراتى اسم "ملكى صادق" ملك "ساليم" الذى كان فى استقبال إبراهيم - عليه السلام - حيث يبارك ملكى صادق إبراهيم عليه السلام، وفى هذا يقول النص: "١٨وَمَلْكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ، أَخْرَجَ خُبْزًا وَخَمْرًا. وَكَانَ كَاهِنًا لله الْعَلِيِّ. ١٩وَبَارَكَهُ وَقَالَ: «مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»"[1].

(١) سفر التكوين ١٤: ١٨ - ١٩ .

ويؤكد سفر حزقيال على أن المدينة ليست إسرائيلية فيقول: "قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لأُورُشَلِيمَ: مَخْرَجُكِ وَمَوْلِدُكِ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. أَبُوكِ أَمُورِيٌّ وَأُمُّكِ حِثِّيَّةٌ"(١).

وبعد نصوص اللعنة(٢) بحوالى خمسمائة عام وجد اسم أوروسالم مرة ثانية فيما يعرف بألواح تل العمارنة، وهى ست رسائل بعث بها "عبدى خيبا" ملك أوروسالم فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى فرعون مصر "أخناتون" يشكو فيها الخطر الذى تتعرض له مدينته من جراء هجمات ما يعرف بالعبيرو.

كما أن "سليمو أو سالم" ذكرت فى سجلات "سنحاريب" ملك أشور فى عداد المدن التى تدفع له الجزية، وقد ظل اسم أورشليم شائعًا منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا، ومنه جاء الاسم الإفرنجى "جيروزاليم".

ومن أسماء القدس أيضًا "يبوس" نسبة إلى اليبوسيين، وهم فرقة من الكنعانيين. "ويبوس" هو الاسم الثانى لمدينة القدس بعد أورشليم، وقد سماها الفراعنة فى كتاباتهم الهيروغليفية "يابيثى" و"يابتى" وهو تحريف لاسم يبوس الكنعانى. وفى زمن الرومان حول الإمبراطور "هادريان" (أدريانوس) مدينة أورشليم بعد أن استولى عليها ودمرها عام ١٣٢م إلى مستعمرة رومانية، وبدل اسمها إلى "إيليا كابيتولينا" وصدر الاسم "إيليا" لقب عائلة هادريان، وكابيتولين جوبيتر هو الإله الرومانى الرئيس، وظل اسم إيليا سائداً نحو مائتى سنة إلى أن جاء الإمبراطور "قسطنطين" المتوفى عام (٣٣٧م) فألغى اسم إيليا، وأعاد للمدينة اسمها الكنعانى.

---

(١) سفر حزقيال ١٦: ٢ - ٣.

(٢) نصوص فى مجموعة الألواح التى عرفت بما دعيت به نصوص اللعنة (الطهارة) Execration Texts التى عثر عليها فى مصر. (أنظر: فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج١، ص ١٧٣).

وبعد الفتح الإسلامى أطلق على المدينة أسماء: القدس وبيت المقدس ومدينة السلام ودار السلام، وكل هذه الأسماء التى قصد منها التكريم والتقديس لم يعش منها سوى اسمين: القدس وبيت المقدس، بمعنى الأرض المطهرة أو البيت المطهر، وربما يعود خلودهما لارتباطهما بأسماء الله تعالى، وقد حافظ العرب المسلمون على هذه القداسة منذ أن افتتحوها منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، ولم ينتهكوا لها حرمة قط كما فعل اليهود، وكما فعل النصارى أيام حروبهم الصليبية[1].

فعندما سقطت القدس فى أيدى الصليبيين سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م وصف مؤرخ القدس وقاضيها هذا السقوط بقوله: "لم ير الإسلام مصيبة أعظم من ذلك"، وقد كتب الصليبيون للبابا بعد دخولهم القدس أن خيولهم خاضت فى دماء المسلمين إلى الركب. فقد قتلوا المسلمين رجالاً ونساء وأطفالاً بلا رحمة أو تمييز بين المحارب وغير المحارب.

فالصليبيون الذين غزوا "القدس" قد ذبحوا وأحرقوا كل من وقع فى أيديهم من المسلمين، حتى الشيوخ والنساء والأطفال، ذبحوا سبعين ألفًا، حتى الذين احتموا بمسجد قبة الصخرة - مسجد عمر بن الخطاب - وسبحت خيول الصليبيين فى دمائهم إلى لجم الخيل، كما نقل ذلك عن شهود العيان رجل الدين النصرانى صاحب كتاب: "تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق". ولم يقترف جرم قتل الأسرى والمدنيين غير المحاربين فرسان الإقطاع الصليبيين وحدهم، بل كان رجال الدين النصارى فى مقدمتهم .. وقد وصف المؤرخ الأوروبى "ميشائيل درسيرر" صنيع البطريرك نفسه فى هذه المذبحة، عندما كان يعدو فى أزقة "بيت المقدس" وسيفه يقطر دمًا حاصدًا به كل من وجده فى طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ فى غسل يديه تخلصًا من الدماء اللاصقة بها، مردداً

---

(١) فيصل صالح الخيرى (١٩٩٩). دلالة أسماء فلسطين والقدس على عروبتها. مجلة القدس. مركز الإعلام العربى، عدد ١٠، ص ص ٩٩ - ١٠٣.

كلمات المزمور: "١٠يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ إِذَا رَأَى النَّقْمَةَ. يَغْسِلُ خُطُوَاتِهِ بِدَمِ الشِّرِّيرِ. ١١وَيَقُولُ الإِنْسَانُ: «إِنَّ لِلصِّدِّيقِ ثَمَرًا. إِنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ قَاضٍ فِي الأَرْضِ»"[1] ثم أخذ فى أداء القداس قائلاً: "إنه لم يتقدم فى حياته للرب بأى قربان أعظم من ذلك"[2].

وكان الصليبيون قد منعوا المسلمين من أداء شعائرهم الدينية فى المسجد الأقصى، وغيروا الكثير من معالمه، واتخذوا جانبًا منه كنيسة والجانب الآخر مسكنًا لفرسان الداوية، وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناءً جديداً جعلوه مستودعًا لذخائرهم، واتخذوا السراديب القديمة التى كانت تحت المسجد إسطبلا لخيولهم[3].

وعندما فتح صلاح الدين بن أيوب مدينة القدس فى ٢٦ رجب سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وفى اليوم الثانى احتفل المسلمون بليلة الإسراء والمعراج، وقد حافظ المسلمون على إحياء هذه الليلة المباركة فى الحرم الشريف. وقد ملأ السلطان صلاح الدين الحرم الشريف بنسخ من القرآن الكريم أحضرها من مكتبة دمشق العظيمة، وأمر بترميم المسجد الأقصى، وإعادة البناء إلى ما كان عليه قبل الاحتلال، وجاء إليه بالمنبر - من حلب - الذى لم يعمل فى الإسلام مثله (صنع على مدى سنين بأمر نور الدين محمود زنكى خاصة باسم المسجد الأقصى)، وهذا هو المنبر الذى أحرقه اليهود سنة ١٩٦٩م أثناء الاحتلال الإسرائيلى.

بعد وفاة السلطان صلاح الدين فى ٢٧ صفر سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م تاركًا دولة كبيرة مترامية الأطراف، لم تلبث أن نشبت حرب الوراثة بين أبناء البيت

---

(١) مزمور ٥٨: ١٠ - ١١.

(٢) محمد عمارة (٤٠٠٢). معاملة الأسرى بين الغرب والإسلام. يوميات الأخبار: جريدة الأخبار القاهرية، ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠٤.

(٣) أنظر: الموسوعة الفلسطينية، ج٤، ص٢٠٤؛ عارف العارف، المفصل فى تاريخ القدس، ص ١٥٨.

الأيوبى، فلاح فى الأفق شبح الانقسام مما شجع الفرنجة ثانية على مهاجمة المسلمين ومحاولاتهم الجديدة الرامية لدخول بيت المقدس مرة أخرى[1].

وفى عام ١٥١٥م حكمها العثمانيون وقام سليمان القانونى[2] بإعادة بناء سور القدس الذى استغرق بناؤه خمس سنوات، وبلغ طوله أربع كيلو مترات وارتفاعه اثنى عشر مترًا، وله ثمانية أبواب رئيسة، واستمر تقدم المدينة وازدهارها وتوسعت خارج السور وبقيت تحت حكم العثمانيين حتى عام ١٩١٧م حتى احتلها البريطانيون بقيادة الجنرال "اللنبى" بعد هزيمة الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى[3].

وقبل أن يتم اللنبى سيطرته على الشام، استدعى "مالكين" - مهندس الإسكندرية - ليضع تخطيطًا للمدينة يحقق الهدف الصهيونى، وقام الأخير بذلك خير قيام فى مخططه الذى وضعه عام ١٩١٨م، فقد قسم المدينة إلى أربعة أقسام: البلدة القديمة وأسوارها، والمناطق المحيطة بالبلدة القديمة، والقدس الشرقية (العربية)، والقدس الغربية (اليهودية). وسمحت هذه الخطة بالبناء فى القدس

---

(١) عبلة المهتدى (٢٠٠٠). القدس تاريخ وحضارة. ص ٢١٨.

(٢) ولد السلطان سليمان الأول أو ما يعرف بالجليل عند الأوروبيين والقانونى عند الأتراك، ولقب أيضًا بالغازى، وهو عاشر سلاطين آل عثمان، فى غرة شعبان سنة ٩٠٠هـ الموافق السادس من نوفمبر عام ١٤٩٤م بطرابيزون على ضفاف البحر الأسود، وتوفى عام ٩٧٤هـ/١٥٦٨م، وعاش (٧٤) سنة، وبقى فى الملك (٤٦) سنة. اعتلى السلطان سليمان العرش عام ١٥٢٠م وهو فى الخامسة والعشرين من عمره، وبلغت فى أثناءها الإمبراطورية العثمانية أوج توسعها، حيث فتح خلالها قلعة بلغراد، وفيما بعد جزيرة رودس ومالطة وبودبست وتبريز وبغداد وعدن والجزائر، ووصلت جيوشه إلى أسوار فينا، ولم يسبق أن أنشأ المسلمون فى العصر الحديث دولة بهذا الاتساع، وكانت إلى جانب ذلك من أطول الدول الإسلامية عمرًا. (أنظر: أندرو كلو "١٩٩١". سليمان القانونى. تعريب: إبشير بن سلامة. دار الجليل، بيروت).

(٣) عبد اللطيف الطيباوى، مرجع سابق، ص٢٢ - ٢٣

الغربية وجعلتها منطقة صالحة للتطوير، بينما منعت ذلك تمامًا فى البلدة القديمة، وقيدته بشدة فى القدس الشرقية. وبذلك سمحت هذه الخطة بتعزيز الوجود الصهيونى فى القدس، وإحكام تطويقها واستيطانها لمنع أى توسع عربى محتمل ومحاولة السيطرة على الحكم البلدى للمدينة، ليتسنى السيطرة تمامًا على المدينة وتحويلها إلى عاصمة للدولة اليهودية[١].

وكان بداية التسلل اليهودى إلى القدس عام ١٨١٣م على أثر الوباء الذى اجتاح "الجليل" وبدأت الهجرة اليهودية عام ١٨٩٥م إلى القدس، وقد مهد إلى ذلك السفير البريطانى لدى الدولة العثمانية آنذاك.

وبعد احتلال القدس عام ١٩٦٧م صرح "ديفيد بن جوريون" بأن شعبه الذى يقف على أعتاب المعبد الثالث لا يمكن أن يتحمل الصبر الذى كان عليه أجداده، وعندما وصل "مناحم بيجن"[٢] إلى الجدار عبر عن أمله فى أن يعاد بناء المعبد فى أقرب وقت وخلال فترة حياة هذا الجيل[٣].

إن التاريخ يثبت أنه منذ عام ٧٠م وحتى ١٥مايو ١٩٤٨ - تسعة عشر قرنا - لم تقم دولة يهودية على أرض فلسطين، وعلى مدار القرون الأولى من هذه

---

(١) جعفر عبد السلام، ص ٣٥.

(٢) مناحم بيجن (١٩١٣ - ١٩٩٢)، ولد فى روسيا، وفى عام ١٩٣٨ سافر إلى بولندا، وهناك تعرف على العمل الصهيونى، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٤٢، عمل على تأسيس منظمة عسكرية صهيونية تدعى "أرجون"، وهى منظمة إرهابية أسهمت فى ترحيل الفلسطينيين من ديارهم، تم انتخابه للكنيست الإسرائيلى عام ١٩٤٩، ترأس حزب الليكود عام ١٩٧٣، وفى عام ١٩٧٧ أصبح سادس رئيس وزراء لإسرائيل واستمر حتى عام ١٩٨٣، من أقواله: إذا كان حزب الليكود يعد الإسرائيليين بإسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، فأنا أعدهم بإسرائيل العظمى من الخليج إلى المحيط. هلك فى ٩ مارس عام ١٩٩٢ عن عمر ٧٨ عاما.

(٣) غازى اسماعيل ربابعة (١٩٩٣) . القدس فى الصراع العربى الإسرائيلى. الأردن: عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

الفترة تغير حكام القدس مرات عديدة (الرومان، الفرس، البزينطيون)، وفى عام ٦٣٨م قام المسلمون بفتح القدس، ومنذ تلك اللحظة وحتى عام ١٩٦٧م كانت فلسطين ومن ضمنها القدس تحت الحكم الإسلامى.

وبانتهاء الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨م تمكنت القوات الإسرائيلية من تحقيق نصف الحلم الصهيونى حيث احتلت (٦٦,٢٪) من المساحة الكلية لمدينة القدس، وبعد حرب ١٩٦٧م تمكنت من وضع يدها على الجزء المتبقى من المدينة، وفى ٨/٦/١٩٦٧ كان الحاخام "شلوموغورين" - حاخام جيش الدفاع الإسرائيلى - يقف على رأس ثلة من الجيش بالقرب من الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف (حائط البراق)، ويقيم شعائر الصلاة اليهودية معلنًا فى ختامها أن حلم الأجيال اليهودية قد تحقق، فالقدس لليهود ولن يتراجعوا عنها[١].

وفى عام ١٩٦٧م ذهب "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلى إلى "الجعبرى" رئيس البلدية، وطلب منه تصريحًا لليهود بزيارة الحرم الإبراهيمى، وقال له الجعبرى: إن مساجدنا مفتحة الأبواب فى كل العالم أمام أى زائر مهما كان دينه أو جنسه. غير أن "ديان" أصر على أخذ تصريح خطى، وأعطاه الشيخ التصريح. فدخلوا المسجد كزوار وخلعوا أحذيتهم، وفى الأسبوع الثانى دخلوا بالنعال، ثم جاء الجيش الإسرائيلى واحتل الحرم الإبراهيمى، وأدخلوا أدوات عبادتهم من كراسى وطاولات فى المسجد بالقوة، فجعلوه أقرب إلى الكنيس منه إلى الجامع[٢].

وإذا ما سُمح لهم بدخول المسجد الأقصى والصلاة فى ساحته، فسوف يصير أمره إلى ما صار إليه الحرم الإبراهيمى. وسبحان الله العظيم، تقرأ فى العهد القديم (التوراة) أن الله يرفض أورشليم (القدس) كمدينة مقدسة، كما يرفضهم،

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، ج٣، ص ٥٠٨ .

(٢) عبد اللطيف الطيباوى، مرجع سابق، ص ٣٨ .

تجد ذلك فى سفر الملوك الثانى: "٢٧فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّى أَنْزِعُ يَهُوذَا أَيْضًا مِنْ أَمَامِى كَمَا نَزَعْتُ إِسْرَائِيلَ، وَأَرْفُضُ هذِهِ الْمَدِينَةَ الَّتِى اخْتَرْتُهَا أُورُشَلِيمَ وَالْبَيْتَ الَّذِى قُلْتُ يَكُونُ اسْمِى فِيهِ"(١).

إن بقاء القدس تحت السيطرة الإسرائيلية يمس مشاعر المسلمين، وهو تحد خطير ينذر بإقدام اليهود على هدم المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه، وقبل أن تقع الكارثة ويطول الانتظار فإن تحركًا عربيا إسلاميًا بات واجبًا وهو فرض عين. ولئن كانت الأمة العربية تعانى الكثير من أعباء المواجهة مع أعدائها، فإن الجهد المبذول والدم الشريف الذى بذل ضرورة حياة؛ لأن الأطماع العدوانية التى شنتها القوى المتربصة غدرًا وغيلة لا تمثل موجة من موجات الغزو الأجنبى ضد شعب بعينه أو جيل بذاته، لكنه عدوان معتقد أملته غرائز شريرة وطبائع عدوانية التركيب، عنفوانية المزاج النفسى.

إن هؤلاء القوم قد فسدت طباعهم أيام الاضطهاد حتى أصبحوا لا يذعنون إلا للقوة، ولا يستجيبون للحق إلا إذا شعروا بضعف وخوف.

***

(١) الملوك الثانى ٢٣: ٢٧ .

obeikandl.com